



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 6 آب/أغسطس، 2024

تعثر مبادرات الوساطة في إنهاء الحرب في السودان: قراءة في أسباب تعثر مبادرتي جدة والإيغاد

أحمد إدريس ومتوكل دقاش

تعثر مبادرات الوساطة في إنهاء الحرب في السودان: قراءة في أسباب تعثر مبادرات جدة والإيغاد

سلسلة: تقييم حالة

6 آب/ أغسطس، 2024

أحمد إدريس

باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. حاصل على الماجستير في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا من معهد الدوحة للدراسات العليا. تتركز اهتماماته في دراسات الحدود، ودراسات الهجرة، وسوسيولوجيا الدولة، والتاريخ الاجتماعي.

متوكل دقاش

طالب ماجستير في برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية بمعهد الدوحة للدراسات العليا. مهتم بالنظرية السياسية والاتجاه الديكولوجونيالي.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرف، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	أولاً: طبيعة الوساطة الجارية في حرب السودان
2	ثانياً: منبر جدة
4	ثالثاً: وساطة الإيغاد
5	رابعاً: في أسباب التعثر
5	1. تعدد المنابر وتحديات الوساطة
6	2. ضعف الإرادة السياسية لحل الأزمة لدى الطرفين
6	3. تصميم العملية التفاوضية
7	4. غياب دور الردع والضغط الذي يمارسه الوسيط
7	خاتمة
8	المراجع

مقدمة

دخلت الحرب في السودان، التي اندلعت منذ 15 نيسان/ أبريل 2023 بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريع شبه العسكرية، عامها الثاني¹. ومنذ اليوم الأول، طُرِحَ العديد من مبادرات الوساطة لإنهائها وإيجاد حل سلمي بين طرفيها²، وكان آخرها الدعوة التي قدّمتها الولايات المتحدة الأميركية لهما للمشاركة في محادثات بشأن وقف إطلاق النار، تبدأ في 14 آب/ أغسطس في سويسرا. وعلى الرغم من تعدّد هذه المبادرات، فإن السؤال يبقى قائماً: لماذا لم تتمكّن أي منها، على مدار عام وبضعة شهور، من إحداث اختراق حقيقي نحو إنهاء هذه الحرب وبناء السلام وإعادة الاستقرار والحياة إلى ملايين السودانيين الذين يتخطفهم اللجوء خارجياً، والموت والنزوح وشبح المجاعة داخلياً؟

تسلط هذه الورقة الضوء على مبادرتين، هما: وساطة منبر جدة الذي بدأ في أيار/ مايو 2023، برعاية ثنائية سعودية - أميركية، وتوسع في جولته الثانية ليضم ميسرين جددًا، ووساطة الهيئة الحكومية للتنمية في شرق أفريقيا (الإيغاد) التي بدأت في حزيران/ يونيو من العام نفسه، بدعم من الاتحاد الأفريقي. تميّزت هاتان المبادرتان بأنهما أُعلنتا رسمياً عبر بيانات من الوسطاء ومن طرفي الصراع، وشهدتا عمليات تفاوض مباشر وغير مباشر بين الطرفين، واستمرت في العمل، على الرغم من الانقطاعات طوال هذه الحرب، وبقينا تحاولان إحراز تدخلات في شكل إعلانات واتفاقيات ووقف إطلاق نار مؤقتة، وشهدتا جولات عديدة من التفاوض.

كان لمبادرتي منبر جدة والإيغاد حظوظ أكبر في الاستمرار، بعكس المبادرات الأخرى، على الرغم من تعدد الوساطات. فعلى سبيل المثال، لم تستمر قمة دول جوار السودان التي استضافتها مصر بعد بضعة شهور من اندلاع الصراع، ولم ينتج منها أي وثيقة أو إجراء بشأن النزاع، على الرغم من تواصل اجتماعات آليتها الوزارية³. أما محادثات المنامة فاتّسمت بالسرية، ولم يُعلن عنها من الوسطاء أو من الطرفين، على الرغم من تسرّب أخبار ووثائق من المحادثات إلى الإعلام⁴. ولم تشهد مبادرة الوساطة التركية - الليبية، وهي آخر الوساطات، عمليات تفاوض، بل دعت الحكومة الليبية قائد الجيش عبد الفتاح البرهان، وقائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو "حميدتي"، كلاً على حدة، من دون محاولة تنظيم لقاء مباشر بينهما⁵.

أولاً: طبيعة الوساطة الجارية في حرب السودان

يمكن تعريف الوساطة في سياق الحرب بصورة إجرائية بأنها "عملية لإدارة النزاع، يلتمس فيها المتنازعون المساعدة من فرد، أو مجموعة أفراد، أو دولة، أو منظمة لتسوية نزاعهم، أو حل خلافاتهم دون اللجوء إلى القوة المادية أو التذرع بسلطة القانون"⁶. انطلاقاً من هذا التعريف، فإن النزاع السوداني الجاري قد شهد أنماطاً عدة من الوساطات، أبرزها تلك التي "عرض" فيها وسطاء عديدون التوسط؛ فقد طرح أفراد مثل الرئيس سلفاكير ميارديت (رئيس جمهورية جنوب السودان)، التوسط بين قائد الجيش وقائد قوات الدعم السريع. وطرحت دول عدة وساطتها على نحو منفرد، مثل مصر، أو ثنائي، مثل السعودية والولايات المتحدة في منبر

1 يتقدم الباحثان بالشكر للدكتورة عائشة البصري التي كان لملاحظاتها أهمية في بناء هذه الورقة في مرحلة باكراً من تطويرها.

2 حول أهم المبادرات لإنهاء الحرب في السودان، ينظر: "مبادرات إيقاف الحرب في السودان ... النتيجة واحدة!"، **الراكوبة**، 2024/7/13، شوهد في 2024/7/24، في: <https://tinyurl.com/5n86hebx>

3 "انعقاد الاجتماع الثاني لوزراء خارجية مسار دول جوار السودان بنيويورك"، الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، 2023/9/20، شوهد في 2024/7/24، في: <https://tinyurl.com/mw23vnpp>

4 "الشرق الأوسط" تحصل على 'اتفاق المنامة' بين الكباشي ودقلو"، **الشرق الأوسط**، 2024/2/19، شوهد في 2024/7/24، في: <https://tinyurl.com/bdzza22h>

5 "أنباء عن وساطة ليبية تركية في أزمة السودان"، **الجزيرة نت**، 2024/3/5، شوهد في 2024/7/24، في: <https://tinyurl.com/3wjxafcy>

6 Jacob Bercovitch et al., "Some Conceptual Issues and Empirical Trends in the Study of Successful Mediation in International Relations," *Journal of Peace Research*, vol. 28, no. 1 (February 1991), pp. 7 - 17.

جدة. إضافة إلى ذلك، استضافت مصر قمة دول الجوار، التي مثلت وساطة متعددة الأطراف، وأعلنت منظمات قارية وإقليمية وساطتها، مثل الاتحاد الأفريقي والإيغاد.

إلى جانب ذلك، ظهر نمط متعدد المسارات Multi-track Mediation، وهو نمط من الوساطة يجمع بين "مختلف مبادرات بناء السلام الجارية على مختلف المستويات في المجتمع، بهدف تعزيز الأثر الإيجابي للروابط بين المبادرات، مع منع الأثر السلبي أو تخفيفه".⁷ يمكن تلمس هذا النمط بالنظر إلى الجولة الثانية من مفاوضات منبر جدة، خصوصاً بعد استيعاب المنظمتين الأفريقيتين (الاتحاد والإيغاد) ضمن هيئة الميسرين، ويمكن قراءة وساطة منظمة الإيغاد القائمة في هذا الاتجاه، خصوصاً وهي تُبنى على خارطة الطريق التي طرحها الاتحاد الأفريقي لتسوية النزاع السوداني، وما تمخّض عنها من تشكيل آلية موسّعة تضم فاعلين من مستويات مختلفة ضمن هذا الاتجاه.⁸

في خضمّ تنوع الوساطات وتعدّد منابرها، وانطواء بعضها (جدة والإيغاد) على بُعد تعددي المسارات، يبرز مشهد إنهاء الحرب في السودان بالعديد من التحديات التي تتعلق بنمط الوساطة نفسها وطبيعتها، مثل التنسيق والحيادية، وتلك التي تتعلق بطرفي النزاع والتفاوض، مثل الإرادة السياسية ودرجة الاقتناع بالخيار السلمي في ضوء المعطيات الميدانية وموازين القوة العسكرية الفعلية والمقدّرة لكل طرف من الطرفين تجاه الآخر.

ثانياً: منبر جدة

دُشن المنبر منذ أوائل أيار/ مايو 2023 بوساطة ثنائية ضمت المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة، حيث جرى إعلان لحماية المدنيين خلال العمليات الحربية، وتيسير إدخال المساعدات الإنسانية، في 11 أيار/ مايو⁹، واتفاق لوقف إطلاق النار مؤقت (أسبوع) واتفاقيات إنسانية في 20 أيار/ مايو¹⁰، وجاء ذلك بعد مجموعة من الهدن القصيرة.

ركّز "إعلان جدة" على قضايا حماية المدنيين وإدخال المساعدات الإنسانية خلال الحرب، وتضمّن مجموعة من الالتزامات شملت الجوانب المتعلقة بحياة المدنيين، سواء أكانوا أناساً عاديين، أم كادراً طبيياً أم ينشطون في العمل الإنساني. وجاءت هذه الالتزامات ضمن شروط، أهمها بالنسبة إلى الطرفين "أن الالتزام بالإعلان لن يؤثر على أي وضع قانوني، أو أمني أو سياسي للأطراف الموقعة عليه، ولن يرتبط بالانخراط في أي عملية سياسية"¹¹، ويمكن اعتبار هذا الشرط قد نأى بمنبر جدة منذ تدشينه عن التعقيدات السياسية العميقة للصراع. فضلاً عن ذلك، يعكس هذا الشرط افتقار الوسطاء (في هذه الحالة السعودية والولايات المتحدة) إلى نفوذ كافٍ على طرفي الصراع، بدليل عدم قدرتهما على ضمان التزام الطرفين بالهدن الموقعة، كما أن تعدد الوساطات ومنابر التفاوض قد وفّر لطرفي الصراع ما يعزّز تخفّفهما من إلزامات الوساطة في منبر جدة، ومن ثم تعزيز قدرتهما على المناورة.

لم يختلف اتفاق وقف إطلاق النار المؤقت، الموقع في 20 أيار/ مايو، عن إعلان جدة لحماية المدنيين، لكونه بنى عليه في المقام الأول، باستثناء أنه (الاتفاق) نصّ على إمكانية تطوّره إلى اتفاق دائم لوقف

7 Julia Palmiano Federer et al., "Beyond the Tracks? Reflections on Multitrack Approaches to Peace Processes," *Swiss Peace*, 7/1/2020, accessed on 25/3/2024, at: <http://doha-institute.org/jrRp>

8 "Meeting of the Extended Mechanism on the Sudan Crisis," *African Union*, 2/5/2023, accessed on 18/5/2023, at: <https://tinyurl.com/mrywnp3v>

9 "إعلان جدة الصادر عن القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع"، وزارة الخارجية السعودية، 2023/5/12، شوهد في 2024/3/20، في: <https://2u.pw/rbNP6Bs>

10 "اتفاقية وقف إطلاق النار قصير الأمد والترتيبات الإنسانية"، وكالة الأنباء السعودية، 2023/5/21، شوهد في 2024/3/20، في: <https://www.spa.gov.sa/w1905904>

11 "إعلان جدة الصادر".

إطلاق النار¹². ساد هذه الجولة تعثرٌ ملحوظٌ، انعكس في عدم نفاذ مخزجات المنبر حول حماية المدنيين، والآمال التي عُقدت عليه بشأن تطوير اتفاق وقف إطلاق نار مؤقت، إلى اتفاق طويل الأمد ودائم. وانعكس التعثر في فشل غالبية الهدن التي أُعلن عنها¹³، واستمرار الحرب ومؤشرات الكارثة الإنسانية التي رصدتها المنظمات الدولية¹⁴.

جرت عملية التفاوض في هذه الجولة وسط وضع ميداني يميل إلى مصلحة الدعم السريع في مناطق من العاصمة الخرطوم ودارفور، وفي وقت لم يكن واضحاً دور فواعل إقليمية أخرى، مثل الإمارات العربية المتحدة وتشاد كما في الشهور اللاحقة. وفي المقابل، كان خطاب الجيش حول إمكانية الحسم العسكري¹⁵، لا يزال متشدداً. وأشار بعض التقارير، في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر 2023، إلى استئناف المحادثات في مدينة جدة السعودية¹⁶، بين قوات الدعم السريع والجيش السوداني، الذي أصدر بياناً حول قبول دعوة الوساطة لاستئناف التفاوض وتوجّه وفده إلى جدة¹⁷. وتزامن ذلك مع تصريح نائب قائد الجيش، الفريق شمس الدين الكباشي، في لقاءه مع مجموعة من قادة القوات المسلحة، مفاده أن "ذهابهم للتفاوض لا يعني التفريط في معركة الكرامة"¹⁸، ليعكس ذلك موقف الجيش في محاولة الموازنة خطياً بين ضغوط القوى الداخلية الداعمة لمسار الحسم العسكري¹⁹، وضغوط الوساطة والقوى الخارجية نحو إنهاء السلام. وأعلنت قوات الدعم السريع في بيان لها عن قبول دعوة الوساطة، من دون أن يفوتها تمرير رسائلها حول عدم استقلالية قرار الحرب في قيادة الجيش وارتعانه للإسلاميين، وهي رسائل بقيت ثابتة في خطاب قادة الدعم السريع منذ اندلاع الحرب²⁰. مضى الطرفان نحو استئناف التفاوض في جدة بإرادة سياسية، يتنازعها التعويل على الخيار العسكري من جانب، والتشكك في إرادة الطرف الآخر من جانب آخر.

بالنسبة إلى بنية الوساطة والعملية التفاوضية، فقد صدر البيان المشترك عن هيئة الميسرين في 29 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، بعد ثلاثة أيام من استئناف التفاوض، وتضمن التزام الجولة الثانية بالمسار الذي خطّه منبر جدة منذ تدشينه، وهو مسار القضايا الإنسانية وحماية المدنيين، حيث نصّ صراحة على أن المحادثات "لن تتناول قضايا ذات طبيعة سياسية"²¹. وحدد ثلاث قضايا تتركز حولها المحادثات، وهي: تسهيل إيصال المساعدات الإنسانية، وتحقيق وقف إطلاق النار وإجراءات بناء الثقة، وإمكانية التوصل إلى وقف دائم للأعمال العدائية. وحاول الوسطاء تطوير آلياتها لضمان فاعلية أكبر ضمن أفق التفاوض المرسوم، وجرت في سياق ذلك مراجعة بنية الوساطة الثنائية ونهجها.

يتمثل أهم المراجعات التي شملت بنية الوساطة في منبر جدة في أنه استوعب في جولته الثانية الاتحاد الأفريقي والإيغاد ضمن هيئة الميسرين، وذلك من خلال ممثل مشترك²². ويمكن قراءة هذه الخطوة في ضوء

12 "اتفاقية وقف إطلاق النار قصير الأمد".

13 محمد العربي، "12 هدنة انهارت... لماذا تفشل جهود إنهاء الحرب في السودان؟"، الجزيرة نت، 2023/6/23، شوهد في 2024/3/20، في: <https://tinyurl.com/y5jrp9db>

14 للاستزادة، ينظر: "تقرير OCHA عن الوضع في السودان"، reliefweb، شوهد في 2024/3/20، في: <https://reliefweb.int/country/sdn>

15 "البرهان: الجيش السوداني لم يستخدم بعد 'كامل قوته المميتة'"، سكاى نيوز عربية، 2023/5/30، شوهد في 2024/3/20، في: <https://tinyurl.com/523psuzf>

16 "الجيش السوداني والدعم السريع يعودان لطاولة المفاوضات بجدة"، قناة الحدث، يوتيوب، 2023/10/26، شوهد في 2024/3/22، في: <https://www.youtube.com/watch?v=oHD34dRYDjA>

17 "الجيش يصدر بياناً حول استئناف مباحثات جدة اليوم"، أخبار السودان، 2023/10/26، شوهد في 2024/3/22، في: <https://www.sudanakhbar.com/1444171>

18 "لقاء الفريق أول ركن شمس الدين الكباشي مع ضباط وادي سيدنا والحديث عن استئناف التفاوض الخميس المقبل"، قناة طيبة، يوتيوب، 2023/10/23، شوهد في 2023/11/13، في: <https://www.youtube.com/watch?v=Q-pljz49EaE>

19 "كتيبة البراء بن مالك... تحقيق لـ 'العربي' يكشف قصتها ودورها بأحداث السودان"، تلفزيون العربي، 2023/7/17، شوهد في 2024/3/22، في: <https://tinyurl.com/37wj65ke>

20 "الدعم يصدر بياناً حول استئناف مباحثات جدة اليوم"، أخبار السودان، 2023/10/26، شوهد في 2024/3/22، في: <https://www.sudanakhbar.com/1444218>

21 "بيان مشترك"، وزارة الخارجية السعودية، تويتر، 2023/10/29، شوهد في 2024/3/22، في: <https://twitter.com/KSAMOFA/status/1718579481512693862>

22 "بيان"، وزارة الخارجية السعودية، تويتر، 2023/10/26، شوهد في 2024/3/22، في: <https://twitter.com/KSAMOFA/status/1717437736833958147>

عاملين: أولاً، ما لهيئتين من خبرة في النزاعات الأفريقية، فضلاً عن تاريخهما ودورهما في المساهمة في فض نزاعات السودان السابقة، مثل اتفاق السلام الشامل في عام 2005. ثانياً، تأتي الخطوة استثماراً في اتجاه توحيد منصات التفاوض الذي تبناه الاتحاد الأفريقي في خارطة الطريق التي طرحها لحل الأزمة السودانية، وانعكس في الآلية الموسعة. وتبنى هذه الخارطة الأفريقية على ما جرى الاتفاق عليه في إعلان جدة لحماية المدنيين، الذي يمثل "قاعدة تعتمد عليها الآلية الموسعة من أجل ضمان الامتثال بشروط وقف إطلاق النار"²³. وإجرائياً، تبنت هذه الجولة تعديلات، تمثلت في: نشر أسماء الوفدين المفاوضين²⁴، الأمر الذي أغفلته الجولة الأولى²⁵، واعتماد منصة واحدة للتصريح باسم العملية التفاوضية، حيث اتفق بين الطرفين على أن "يكون الميسرون هم المناطق الرسمي الوحيد للمحادثات"²⁶؛ وذلك لتجنب التصريحات المنفردة التي كان لها أثر سلبي في مسار التفاوض في الجولة الأولى²⁷.

انهارت الجولة الثانية من مفاوضات منبر جدة بعد نحو شهر. وصرح الطرفان بأن القضايا التي أدت إلى انهيارها تركزت في فشل إنهاء المظاهر العسكرية في الأعيان المدنية، وملف إعادة المعتقلين الفارين من قادة النظام السابق، والمداخل والمطارات المعتمدة لتمير المساعدات الإنسانية²⁸.

يمكن القول إن أفق جدول الأعمال والقضايا التي جرى التعامل معها في هذه الجولة من مباحثات جدة لم يتجاوز محطة "حماية المدنيين وإيصال المساعدات الإنسانية" التي انطلق منها الإعلان، ومن ثم، بقيت الأمور تقبع في زاوية معالجة تبعات الحرب إجرائياً من دون التطرق جذرياً إلى أسبابها، وهي النقطة نفسها التي انقطعت عندها المفاوضات في الجولة السابقة، على الرغم من مرور سبعة شهور بين الجولتين، حصلت فيها تغيرات ميدانية وإنسانية عدة.

ثالثاً: وساطة الإيغاد

انطلقت مبادرة الإيغاد لإيقاف الحرب في السودان من اجتماع الدورة العادية 14 في جيبوتي، في 12 حزيران/ يونيو 2023، بعد الاستماع إلى تقييم الوفد رفيع المستوى الذي كوّنته المنظمة لتسوية النزاع، بقيادة جنوب السودان. تضمنت خارطة الطريق أربع خطوات عملية، تمثلت في: ضم إثيوبيا إلى الوفد ليصبح لجنة رباعية (كينيا، إثيوبيا، جنوب السودان، جيبوتي) برئاسة الأولى، وتشرع هذه اللجنة في تيسير لقاء بين قائد الجيش السوداني وقائد قوات الدعم السريع في غضون 10 أيام، وتدبير ممر إنساني آمن للمساعدات الإنسانية في غضون أسبوعين، والبدء في عملية سياسية شاملة في غضون ثلاثة أسابيع²⁹.

تبنت اللجنة الرباعية خارطة الطريق الصادرة في حزيران/ يونيو، وقررت في أول اجتماعاتها، في 10 تموز/ يوليو، جملة من الإجراءات الواجب اتخاذها، أهمها: تسهيل عقد اجتماع بين الأطراف المتحاربة، وحشد المساعدات الإنسانية، ودعم حوار سوداني بقيادة سودانية، وتنسيق جهود الإيغاد الدبلوماسية مع الاتحاد الأفريقي، والنظر في حشد قوة التدخل السريع لشرق أفريقيا (إيساف) التابعة للهيئة³⁰. وأثارت هذه الخطوة

23 "خارطة طريق الاتحاد الأفريقي لتسوية نزاع جمهورية السودان"، الاتحاد الأفريقي-المستودع الرقمي، 2023/5/27.

24 "بيان وزارة الخارجية".

25 "مفاوضات جدة مالها وما عليها وما هو المتوقع منها"، قناة الزرقاء، يوتيوب، 2023/10/30، شوهد في 2024/3/22، في:

<https://www.youtube.com/watch?v=VxMj9VxKh-Y>

26 "بيان مشترك".

27 فيصل محمد صالح، "مفاوضات جدة: ضرورة اتفاق مايو"، مداميك، 2023/11/4، شوهد في 2024/3/22، في: <https://www.medameek.com/?p=133436>

28 "الجيش السوداني والدعم السريع يكشfan للجزيرة نت أسباب انهيار مفاوضات جدة"، الجزيرة نت، 2023/12/4، شوهد في 2024/3/22، في: <https://acr.ps/1L9zOvA>

29 "Final Communiqué of the 14th Ordinary Session of the IGAD Assembly of Heads of State and Government," IGAD, 12/6/2023, accessed on 11/3/2024, at: <https://tinyurl.com/muxds6h3>

30 "Communiqué of the 1st Meeting of the IGAD Quartet Group of Countries for the Resolution of the Situation in the Republic of Sudan," IGAD, 10/7/2023, accessed on 11/3/2024, at: <https://tinyurl.com/4m6sr2em>

الأخيرة تحفظات قيادة الجيش وانتقاداتها، فقد عدّتها مساساً بالسيادة³¹. في السياق نفسه، رفضت الحكومة السودانية، ممثلة في وزارة الخارجية، رئاسة كينيا للجنة الرباعية التي رأتها منحازة إلى جانب الدعم السريع، بل هدّدت الوزارة بالانسحاب من المنظمة، قائلة: "إنه إذا لم تستجب إيغاد لطلبنا بتغيير رئاسة اللجنة، فستعيد حكومة السودان النظر في جدوى استمرارها في المنظمة التي أسست بمبادرة منها"³².

لم تختلف مخزجات الاجتماع الثاني كثيراً عن الأول في ما يلي التوصل إلى إيقاف إطلاق النار، على الرغم من وعود بالمساهمات المالية والتدخل الإنساني³³. وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر، عقدت إيغاد قمتها الاستثنائية 41 بشأن السودان، في جيبوتي، وفيها اعتبرت "أن اللجنة الرباعية قد قامت باقتدار بالمهمة التي أنشئت من أجلها"³⁴، وقررت تبني تقرير اللجنة المقدم للجمعية العامة، والتصدي لملف تسوية الحرب في السودان جماعياً بوساطة الجمعية العامة. خلال القمة التزمت إيغاد "بدعم عملية سياسية شاملة، يقودها مدنيون، والتي ستحدد طبيعة وهيكल المجتمع السوداني والحكم، وتنقل البلاد إلى حكم ديمقراطي مدني قابل للحياة"، إضافة إلى إدانة "التدخلات غير المبررة من قبل جهات خارجية حكومية وغير حكومية في الصراع"³⁵.

أخذت جهود إيغاد في وقف الحرب في السودان تتعثر بعد تشكيل اللجنة الرباعية والتلويح بخيار التدخل العسكري، وتشكيك قيادة الجيش التي عوّلت في الأساس في مشروعيتها السياسية، طوال الفترة الانتقالية، وفي درجة أكبر بعد انقلاب تشرين الأول/ أكتوبر 2021، على مسألة "السيادة التي فرّط فيها المدنيون"، في حيادية الوساطة. وبقيت إيغاد، كما لاحظنا في البيانات كلها الصادرة منها بشأن تسوية النزاع في السودان، توصي وتبني إجراءاتها المقترحة بتنسيق مع الاتحاد الأفريقي الذي علّق عضوية السودان فيه منذ انقلاب 25 تشرين الأول/ أكتوبر 2021 باعتبارها خطوة للضغط في اتجاه الرجوع عن الانقلاب. واشترطت قيادة الجيش إعادة عضوية السودان المتعلقة للتعامل مع المقترحات التي تدفع بها وساطة إيغاد المسنودة من الاتحاد الأفريقي³⁶.

رابعاً: في أسباب التعثر

تتعدد أسباب تعثر الوساطة المطروحة في منبر جدة ومنظمة إيغاد، وسنورد في ما يلي أهمها.

1. تعدد المنابر وتحديات الوساطة

أدى غياب نهج إقليمي أو دولي منسجم في مقاربة التفاوض وتعدد الوساطات إلى بروز عقبتين أمام الحل التفاوضية الفعالة التي ستؤدي إلى إيقاف الحرب: أولاهما، ما يُعرف بتسوق المنابر Forum Shopping، حيث أتاح تعدد المنابر بدائل عديدة أمام الأطراف المتحاربة لتعزيز مصالحها الخاصة؛ فهي تستفيد من تنوع الخيارات لاختيار المنبر الأكثر فائدة، والتلاعب بالمفاوضات من خلال استغلال التناقضات بين الوسطاء المختلفين،

31 ينظر تصريحات الفريق أول ياسر العطا (مساعد قائد الجيش) أمام مجموعة من الضباط والجنود: "رسالة من مساعد قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان إلى الرئيس الكيني"، التلفزيون العربي، يوتيوب، 2023/7/24، شوهد في 2024/3/11، في: <https://www.youtube.com/watch?v=uWYh5kN4Pyo>

32 "الخارجية السودانية: رفض حكومة السودان لرئاسة كينيا للجنة إيغاد الرباعية"، وكالة السودان للأنباء، 2023/9/7، شوهد في 2024/3/11، في: <https://tinyurl.com/4wudtaw8>

33 أضافت في ملف المساعدات الإنسانية تقديم مليون دولار من كل أعضاء إيغاد للمساعدات الإنسانية وجهود السلام، ينظر بيان الاجتماع الثاني للجنة الرباعية، في:

"Communiqué of the 2nd Meeting of the IGAD Quartet Group of Countries for the Resolution of the Situation in the Republic of Sudan," IGAD, 6/9/2023, accessed on 11/3/2024, at: <https://tinyurl.com/mvskr9fb>

34 "Communiqué of the 41st Extraordinary IGAD Assembly of Heads of State and Government," IGAD, 9/12/2023, accessed on 11/3/2024, at: <https://tinyurl.com/29ps5w8y>

35 "البيان الختامي للإيغاد يعيد اقتراح لقاء البرهان وحميدتي"، ألترا سودان، 2023/12/10، شوهد في 2024/7/27، في: <https://acr.ps/1L9zOmV>

36 "البرهان يشترط قبول حلول الاتحاد الأفريقي بإعادة عضوية السودان"، الراكوبة، 2024/3/3، شوهد في 2024/7/27، في: <https://tinyurl.com/4psyderh>

وصار وسيلة لربح الوقت والتنصل من الالتزامات التي يتم التوصل إليها³⁷. ثانيتهما، التنافس على المنابر من الوسطاء، الذي لم يقتصر على مكان التفاوض بل شمل قضايا التفاوض وأهدافه النهائية. فإعلان جدة، على سبيل المثال، ركز على التوصل إلى اتفاقات وقف إطلاق نار قصيرة الأمد لتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، واتخاذ الإجراءات الضرورية لوقف دائم للأعمال العدائية، وذلك من دون أن يرتبط بأي عملية سياسية. في المقابل، صممت الإيغاد عملية تفاوضية سياسية، تشمل لقاء مباشرًا بين القائد العام للجيش وقائد الدعم السريع، مع إشراك قيادة تحالف تنسيقية القوى المدنية الديمقراطية التي كانت قد وقّعت إعلانًا للمبادئ مع قائد الدعم السريع. أدى هذا التعدد في المنابر من جانب وتنوع أشكال الوساطات من جانب آخر، إلى تشتت الجهود وتداخل الأدوار بين مختلف الأطراف الفاعلة، سواء أكانت دولاً أم منظمات. ينعكس ذلك في بعض الأحيان في غياب التنسيق الفعّال بين الوسطاء، ومن ثم، تكرار الجهود أو تناقضها. ويمكن أن يؤدي تضارب المصالح بين القوى والدول والمنظمات الوسيطة إلى إضعاف قدرة التأثير والإقناع لدى أطراف الحرب، ما يزيد من تعقيد التوصل إلى حلول مشتركة ملموسة ومستدامة³⁸.

2. ضعف الإرادة السياسية لحل الأزمة لدى الطرفين

عقدت القمة الاستثنائية للإيغاد، بطلب من قائد الجيش، بعد خمسة أيام من إعلان تعليق الجولة الثانية من مفاوضات جدة، في 4 كانون الأول/ ديسمبر³⁹، وذلك بعد جولة مكوكية أجراها في الوقت الذي يتفاوض وفده في جدة بين مجموعة دول الإيغاد، بما فيها كينيا. في المقابل، طاف قائد الدعم السريع في معظم تلك الدول وغيرها. عكس ذلك حالة من التخفف في الالتزام تجاه عمليات التفاوض ومخرجاته في المنبرين، وارتبط بأطراف الصراع وتكييفهم السياسي لهذه الحرب وإرادتهم في إنهائها، لا سيما مع التطورات الميدانية منذ تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، حيث تمددت قوات الدعم السريع في محور الوسط عبر سيطرتها على معظم ولايات دارفور وولاية الجزيرة، وتقدّمتها جنوباً نحو سنار وكردفان. في المقابل، استعاد الجيش بعض المناطق في ولاية الخرطوم، مثل أمدرمان، واستقطب مؤخرًا مجموعة من الحركات المسلحة التي تحرك بعض قواتها لمساندته في الخرطوم والجزيرة⁴⁰. وتحرك هذه الأخيرة تناقضات الواقع الداخلي المتعلقة بمناطق انتشارها وقواعدها الاجتماعية في دارفور، وحساباتها لتشارك السلطة في مشهد ما بعد الحرب، فضلاً عن تخوّف هذه الحركات من قوات الدعم السريع وأملها في أن يساعد استمرار الحرب في تفكيكها. ويتضح من خلال تحرك الأطراف المنخرطة في الحرب أنها تميل نحو الخيارات العسكرية والنفوذ الميداني على الأرض، أكثر منها إلى الحلول السياسية.

3. تصميم العملية التفاوضية

استبقت حركة جيش تحرير السودان لقاء جنيف المقترح في 14 آب/ أغسطس 2024 في سويسرا، ببيان أشارت فيه إلى أن مفاوضاتها "لن تُفضي إلى شيء في غياب أطراف معروفة وموجودة في قلب المعارك"⁴¹. والحال أن هذه إحدى الإشكالات البنيوية التي ظهرت في تصميم وساطتي منبر جدة ومبادرة الإيغاد، اللتين اقتصرتا على الجيش والدعم السريع. ويؤدي هذا التصميم الثنائي الذي اقتصر على هذين الطرفين، من دون تضمين قوى وازنة، مثل الحركات المسلحة والأحزاب السياسية والمجتمع المدني، إلى عملية تفاوضية غير شاملة

37 Ameer Chughtai & Theodore Murphy, "Conflict and Interests: Why Sudan's External Mediation is a Barrier to Peace," European Council on Foreign Relations, 8/9/2023, accessed on 27/7/2024, at: <https://acr.ps/1L9zOGe>

38 الوثائق كمير، "التسابق على المنابر: ما مصير الحل التفاوضي؟"، **سودان تريبيون**، شوهد في 2024/7/24، في: <https://sudantribune.net/article281894>

39 "Communiqué of the 41st Extraordinary."

40 "هل تقلب مشاركة حركات دارفور بالحرب الموازين لصالح الجيش السوداني؟"، **الجزيرة نت**، 2024/3/27، شوهد في 2024/7/25، في: <https://tinyurl.com/5bz7nn3t>

41 "حركة مناوي تطالب بإشراك القوة المشتركة في مفاوضات جنيف وتحذر من تجاوزها"، **السوداني**، 2024/7/27، شوهد في 2024/7/27، في: <https://alsudaninews.com/?p=183829>

وتجاهل العديد من الأصوات والمصالح المهمة. ومن الواضح أن عدم إشراك الأطراف المعنية والمتأثرة بالحرب يعوّق عملية تحقيق توافق شامل ودائم؛ إذ إن التعقيدات المنوعة في السياق السوداني تتطلب نهجًا شاملاً يأخذ في الحسبان الجهات الفاعلة كلها.

4. غياب دور الردع والضغط الذي يمارسه الوسيط

على الرغم من العقوبات التي أعلنتها الولايات المتحدة على أفراد ومؤسسات من الطرفين⁴²، وأخرى في حق قادة في الدعم السريع⁴³، وتبني الأمم المتحدة قرارًا بالتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان⁴⁴، وفتح تحقيق في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في دارفور بعد انتهاكات الجينية⁴⁵، فإن الإجراءات العقابية لم تُظهر فاعلية كافية لردع هذه الأطراف المتنازعة، أو تحفيز قادتها على المضيّ قُدّمًا في خيارات التفاوض المطروحة. ويشير هذا الأمر إلى غياب دور الوسيط القوي القادر على ممارسة الضغط والردع الفعّالين، وهو الدور الذي قامت به الولايات المتحدة في اتفاقية السلام الشامل التي وُقعت في عام 2005. ويمكن رد ذلك إلى موقع الملف السوداني في سلّم أولويات القوى الدولية، لا سيما الولايات المتحدة، الذي تأثر بحروب أخرى، مثل الحرب الروسية - الأوكرانية، وحرب غزة منذ تشرين الأول / أكتوبر 2023.

خاتمة

يظهر تعثر جهود الوساطة لإنهاء الحرب في السودان نتيجة لتشابك المصالح وتضارب الأجندات بين طرفي الصراع من جهة، والوسطاء الإقليميين والدوليين من جهة أخرى. وقد كان تعدد المنابر الوسيطة وتنوعها سببًا في فقدان التنسيق وتشتت الجهود، على نحو عرقل إمكانية التوصل إلى حلول مشتركة ملموسة. وأسفر تصميم عملية التفاوض التي اقتضت على الجيش والدعم السريع، من دون إشراك القوى المؤثرة الأخرى عن ضعف العملية برمتها. من هنا، تبرز الحاجة الملحة إلى نهج منسجم وقوي، يمارس الضغط لخلق الإرادة اللازمة لتحقيق السلام. عمومًا، يبدو أن الضغوط والعقوبات الدولية، على أهميتها، لم تكن كافية وحدها لدفع الأطراف المتحاربة نحو الالتزام الجاد بوقف الاقتتال. إن تحقيق نتائج ملموسة في طريق السلام في السودان، يتطلب تنسيقًا أكبر بين الوساطات المختلفة ونهجًا شاملاً يشمل جميع الفاعلين المؤثرين في الساحة السياسية.

42 "Treasury Sanctions Military-Affiliated Companies Fueling Both Sides of the Conflict in Sudan," U.S Department of the Treasury, 1/6/2023, accessed on 27/7/2024, at: <https://tinyurl.com/2jjs9bjf>

43 "Treasury Sanctions Sudanese Paramilitary Leader," U.S Department of the Treasury, 6/9/2023, accessed on 27/7/2024, at: <https://tinyurl.com/286zu3nv>
44 "حرب السودان.. الأمم المتحدة تبني قرارًا للتحقيق بانتهاكات حقوق الإنسان"، **تلفزيون العربي**، 2023/10/12، شوهد في 2024/7/27، في: <https://tinyurl.com/4wsv7py3>

45 United Nation, "Darfur: International Criminal Court Launches Investigation into Surging Violence," 13/7/2023, accessed on 2/12/2023, at: <https://news.un.org/en/story/2023/07/1138692>

المراجع

- Bercovitch, Jacob et al. "Some Conceptual Issues and Empirical Trends in the Study of Successful Mediation in International Relations." *Journal of Peace Research*. vol. 28, no. 1 (February 1991).
- Chughtai, Ameer & Theodore Murphy. "Conflict and Interests: Why Sudan's External Mediation is a Barrier to Peace." European Council on Foreign Relations. 8/9/2023. at: <https://acr.ps/1L9zOGe>
- "Communiqué of the 1st Meeting of the IGAD Quartet Group of Countries for the Resolution of the Situation in the Republic of Sudan." *IGAD*. 10/7/2023. at: <https://tinyurl.com/4m6sr2em>
- "Communiqué of the 2nd Meeting of the IGAD Quartet Group of Countries for the Resolution of the Situation in the Republic of Sudan." *IGAD*. 6/9/2023. at: <https://tinyurl.com/mvskr9fb>
- "Communiqué of the 41st Extraordinary IGAD Assembly of Heads of State and Government." *IGAD*. 9/12/2023. at: <https://tinyurl.com/29ps5w8y>
- Federer, Julia Palmiano et al. "Beyond the tracks? Reflections on Multitrack Approaches to Peace Processes." *Swiss Peace*. 7/1/2020. at: <http://doha-institute.org/jrRp>
- "Final Communiqué of the 14th Ordinary Session of the IGAD Assembly of Heads of State and Government." *IGAD*. 12/6/2023. at: <https://tinyurl.com/muxds6h3>